منى السعودي .. جماليات الظل والنور

منى السعودي .. جماليات الظل والنور

غازي انعيم

لقد وجدت منى السعودي نفسها في متحف مفتوح ، ووجدت فيه ملاعب طفولتها. وربما كان هذا سببا منطقيا في تعلقها بالنحت فيما بعد ، وهذا ما أكدت عليه النحاتة منى السعودي في مذكراتها عندما قالت: "كنت أترك أصدقائي الصغار لألعب مع التماثيل ، أتحاور معها ، أتأمل ثناياها ، وصناعتها ، وكنت أشعر أنها مخلوقات صامتة مليئة بالحياة. لقد أعطتني هذه المواقع الأثرية الأسطورية الشعور بقدرة الإنسان على إبداع أعمال عظيمة تبقى على مدى الدهر. وهكذا بدأت تتكون أحلامي".

لقد كان لساحة المدرج الروماني تأثير ايجابي فيما بعد حيث دفعها أثناء المرحلة الابتدائية إلى القراءة والتأمل في الطبيعة والخلق والتكوين.

وفي المرحلة الثانوية بدأت أولى محاولاتها في الكتابة والرسم ، وبدأت تصنع أشكالاً من الجبس ، وتقرأ في الفن والشعر. وتبحث عن صور ولوحات وتماثيل. كما قرأت عن مدن بعيدة فيها متاحف وفنانون.. من هنا بدأ الحلم بالسفر.

في عام 1963 سافرت منى السعودي إلى لبنان لإكمال دراستها الثانوية ، وفيه كان أول لقاء لها مع النحت الحديث ، حيث تعرّفت إلى محترف وأعمال النحات ميشيل بصبوص في قرية راشانا ، كما دخلت في أجواء الفنانين والشعراء وصادقت العديد منهم مثل: أدونيس ، أنسي الحاج ، حليم جرداق ، نزيه خاطر ، ميشيل بصبوص ، وبول غيراغوسيان.

وفي العام الذي أنهت فيه السعودي دراستها الثانوية ، وأقامت معرضها الأول في مقهى (الصحافة) ، حيث باعت مجموعة من لوحاتها ، استطاعت بثمنها شراء بطاقة سفر لمواصلة رحلة الحلم الكبير إلى عاصمة الفن لاحتراف النحت. وفور وصولها في العام 1964 لباريس التحقت بالمدرسة العليا للفنون ، وبدأت على الفور مشوار القراءة في الشعر ، والتاريخ ، والتصوف ، بالإضافة إلى التردد على المسارح ، وحفلات الموسيقى ، وصالات العرض الباريسية ، التي أتاحت لها مشاهدة أعمال بيكاسو ، وميرو ، وفان كوخ ، وجاكوميتي ، وكالدر ، وبرانكوزي. كما زارت المتاحف ، وبشكل خاص متحف (اللوفر) الذي اكتشفت فيه فنون حضاراتنا القديمة من سومرية ومصرية ونبطية. وهنا شعرت الفنانة السعودي بعمق انتمائها لرؤيتهم الفنية.

وفي العام 1965 دخلت عالم البحث في الشكل ، وصنعت أول منحوتة من الحجر أسمتها (أمومة الأرض) ، وكانت المنحوتة تتألف من كتلتين بينهما فراغ يسكن فيه شكل كروي. ومن هذه المنحوتة بدأ بحثها الخاص ، وبدأت رحلتها مع الحجر والرخام ، وأرادت أن تتعلم الكثير من أسرار الرخام فسافرت في العام 1967 ، إلى إيطاليا ، وقضت فيها بضعة أشهر في معامل النحت في كرارا ، وتعلمت من العمال المهرة هناك أسرار استعمال الأزميل ، والمطرقة الهوائية ، وصقل الرخام ، واستعمال الرافعات الآلية.

بعد عودة السعودي في العام 1968 إلى باريس عاشت أحداث الثورة الطلابية ، وشاركت في مظاهرات الحي اللاتيني ، وفي إنتاج الملصقات التي كانت توزع يومياً وتلصق في كل مكان في باريس. وكانت هذه التجربة بالنسبة لها مهمة وعميقة. وبعد انتهاء الأحداث عادت منى السعودي في العام 1968 إلى عمان وخاضت تجربة فنية مع أطفال مخيم البقعة ، ومن هذه التجربة التي استمرت بضعة أشهر أعدت كتاب حمل عنوان: "شهادة الأطفال في زمن الحرب" الذي صدر في بيروت عام ,1970

لم تكن إقامة منى السعودي في الأردن طويلة ، فغادرت في عام 1969 للعيش في بيروت التي أنتجت فيها عشرات المنحوتات من: حجر ، ورخام أخضر ، وجرانيت ، وحجر كلس) ، عالجتها بكافة الأدوات من المطرقة والأزميل إلى أحدث الآلات مثل الصاروخ. واستخدام الفنانة لتلك الأدوات يعلن عن مدى ما تحمله من قوة ، وإرادة ، وطاقة هائلة من الإصرار ، والعزيمة على مواجهة ما يقف أمامها من مصاعب ، لذلك فهي تتعامل مع تلك الخامة ـ بما يتناسب مع طبيعتها ـ بعشق ، وهذا ما جعلها طيعة بين أناملها الرقيقة.

عندما نتأمل ما أنتجته منى السعودي من تماثيل عبر رحلتها الفنية الطويلة ، نرى أننا أمام أعمال متعددة الجوانب ، مثل: الأرض ، والأمومة ، والخصوبة ، والولادة ، والشروق ، والفجر ، والعشق. تلك أسماء لمنحوتات ترتكز بشكل أساس على الأرض والمرأة ، وتتميز بعلاقة متبادلة ما بين الكتلة والفراغ ، مع التأكيد على الكتلة ، وأيضاً تتميز بخصوبة وثراء بما تحمله في داخلها من عواطف نبيلة حيث نستشعر فيها استمرار الشكل في أعماقها.

هذا بالإضافة إلى الظل والضوء الذي تؤلفهما الفنانة ، باعتبارهما عنصرين مهمين ، من أجل كشف الشكل والكتلة من خلالهما ، حيث اعتمدت على أحاسيسها وخبرتها النحتية في أنواع الحجر وتجريبها للظل والنور ، الذي يعتمد عليه في الأساس فن النحت. إلا أن ذلك لم يكن الحقيقة الداخلية التي تبحث عنها منى السعودي ، فالحقيقة الداخلية قد كشفت عنها في الخط وفي حاسة اللمس ، وهكذا يكون للمس الأولوية في الإثارة ، وهذا ما يؤكد عليه الناقد البريطاني هربرت ريد عندما قال: إذا قيل إن المشاهد لا يستوعب النحت في العادة بوسيلة اللمس فإن الذنب في ذلك يقع على عاتق المشاهد نفسه ، لأن الإحساسات المتضمنة في فعل الإبداع هي في الدفع والضغط أساساً ، وهي إحساسات لمسية.

أما بالنسبة للخطوط في تماثيلها فهي تحدد المساحات المفرغة ، فتتوارى الكتلة فلا تحس لها وجوداً ، ورغم ذلك لا نشعر بسقوط الشكل ، وبذلك تكون الفنانة قد أبدعت تماثيلها على شكل تصميمات هندسية بلغة تعبيرية تحمل مضامين رمزية.

للنحاتة منى السعودي منحوتات تنتصب في أماكن كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: تمثال تنويعات على حرف النون 1981 ، ومنحوتة النهر 1983 ، التي تنتصب على مدخل بنك القاهرة عمان ، والمنحوتة عبارة عن شكل دائري له جناحان يمر من بينهما خط متموج ، وقد رمزت الفنانة للخط المتموج بنهر الأردن ، أما الجناحان فهما يمثلان الضفة الغربية والشرقية: فلسطين والأردن.

ولها منحوتة أخرى استقرت في العام 2003 في حديقة السفارة الفرنسية في عمان ، وهي تتكون من ثلاث قطع تشكل الماضي ، والحاضر ، والمستقبل في بناء عمودي ، وقد اختارت الفنانة حرف النون لكونه حرفاً بخطوط دائرية تتمحور حول نقطة.

وتنتصب منحوتة "دائرة الأيام السبعة" التي أنجزتها العام 1986 ، أمام جامعة العلوم والتكنولوجيا في شمال الأردن ،

والمنحوتة عبارة عن قرص دائري مشقوق في الوسط ، بحيث يتقدم نصف الدائرة إلى الأمام ونصفها الآخر إلى الخلف ، وهذه المسافة توحي بالبعد الزمني في المنحوتة التي يتوسطها فتحة دائرية يمر فيها عمودياً سبع مسننات ، وهي تمثل دائرة الأيام السبعة ، إحدى الوحدات الزمنية التي تعيش فيها. وعلى الرغم من أن وزن المنحوتة النهائي حوالي ستة أطنان ، فإن بوسع المشاهد جعلها تدور حول محورها بتحريكها باليد ، مما يخلق حواراً بين المشاهد والمنحوتة ، والقدرة على تحريكها يمنح شعوراً بالدهشة والفرح.

أما منحوتة "هندسة الروح" التي أنجزتها الفنانة في العام 1987 ، من الرخام بارتفاع ثلاثة أمتار ، وقدمها الأردن هدية لساحة معهد العالم العربي في باريس ، فهي مستوحاة من الأنصاب النبطية وقد عالجتها الفنانة بمعالجة تشكيلية هندسية حديثة ، حيث عملت الفنانة على إيجاد تقسيمات في أبعاد الكتلة سواء بشكل طولي أو عرضي ، وهي أقرب ما تكون إلى تقاسيم الزمن في التأليف الموسيقي ، وتداخلت في المنحوتة تموجات الماء والصحراء وولادة القمر هلالاً.

أخيراً فإن أعمالها ، التي أنجزت عبر مراحل مختلفة ، تشير قدرتها على استحداث بعد جمالي تؤكد من خلاله روعة السكون وجمال الحركة ، إلى جانب خلق جماليات الظل والنور على سطح المنحوتة ، وهنا يلعب الظل والنور دوراً مهماً في إظهار جماليات الخامة ، بالإضافة إلى اهتمامها بكل جوانب المنحوتة ، حيث نجحت في تحقيق رؤية كاملة للشكل المجسم الذي يحقق الاتزان من الناحيتين الجمالية والمعمارية.

ناقد وتشكيلي أردني

ghaziinaim@yahoo.com